المحاضرة السادسة

العلم والفلسفة

علاقة الفلسفة بالعلم:الحديث عن الفلسفة والعلم هو في الحقيقة حديث عن حقلين معرفيين، وكذلك عن سبيلين للمعرفة، كيف لا والفلسفة جاءت كتعبير عن مرحلة من مراحل نضج الفكر البشري وارتقائه نحو العقلانية والاستدلال العقلي في البحث عن الحقيقة، وتجاوز مرحلة التفكير الخرافي الأسطوري... والعلم كذلك هو نمط فكري يعبر عن مرحلة أخرى من مراحل تطوّر الفكر البشري، الهادف إلى بلوغ معارف أكثر دقة وواقعية إننا نسمع مثلا: هذه تساؤلات فلسفية، وهذه قضايا فلسفية، وهذه مذاهب فلسفية.. وكذلك نسمع: هذه تساؤلات علمية، وهذه قضايا علمية، وهذه قوانين ونظريات علمية.. ومثل هذه المصطلحات تقود إلى إثارة قضية العلاقة بين الفلسفة والعلم.. ما مظاهر التمايز بينهما؟ هل التمايز هو المظهر الوحيد لطبيعة العلاقة بينهما؟.. هل ظهور العلم أنهى مكانة وقيمة الفلسفة؟

...وهل بإمكان العلم الإحاطة بجميع انشغالات الإنسان ويكون بديلا ناجحا عن الفلسفة؟

.إن مثل هذه التساؤلات تستدعي أولا ضبط مفهوم كل من الفلسفة والعلم وكذلك تحديد خصائصهما

مفهوم الفلسفة وخصائصها: سبق التعريف بالفلسفة وتحديد أهم خصائصها.. أنظر المحاضرة رقم01 والمحاضرة رقم02

مفهوم العلم وخصائصه

تعريف العلم: منظومة من المعارف المتناسقة، التي يُعتمد في تحصيلها على المنهج التجريبي

تعريف لالاند: "العلم هو ما يطلق على مجموعة المعارف والأبحاث التي توصّلت غلى درجة كافية من الوحدة والضبط والشمول، بحيث تنتهي إلى نتائج متناسقة وموضوعية، بعيدة عن الذاتية، تؤيّدها مناهج محدّدة للتحقق من صحتها اما تعريف عبد الرحمن بدوي: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقائق في العلوم بواسطة مجموعة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى "نتيجة معلومة أسبابها، وما يناسبها من حلول بطريقة غير متحيّزة للمشكلة

خصائص العلم: ومن أهمّها

الموضوعية: دراسة الظاهرة كما هي عليه في الواقع، وليس كما يجب أن تكون عليه، وبمعنى آخر: استبعاد الذاتية وما يرتبط بها من ذوق ورغبات وارتجالية وأحكام مسبقة.. يقول غاستون باشلار "إن "..العلم.. يتعارض إطلاقا مع الرأي

النسبية والتغيّر: فالقوانين والحقائق العلمية تعبّر عن حالة ومرحلة اكتشاف ترتبط بظروف زمكانية، وكذلك نوعية وطبيعة الوسائل المعتمدة؛ ولما كانت هذه الوسائل قابلة للتطوّر، فكذلك نتائج العلم قابلة للتغير، وحتى الإلغاء.. وعليه فليس اليقين العلمي إلا يقينا مؤقتا.. يقول كلود برنار "يجب أن نكون مقتنعين بأننا لا نملك العلاقات الضرورية بين الأشياء، إلا بوجه تقريبي كثيرا أو قليلا.." ويقول ."غاستون باشلار عن العلم بأنه "معرفة تقريبية

الانسجام والتناسق: العلم بناء منظّم، يعبّر عن ترابط العناصر في نظام كلّي واحد، مبين على علاقات تعميمية منسجمة الدقّة والتجريد: العلم معرفة دقيقة، لغتها الكم والقياسات الرياضية، وقد انتقل في تطوّره من الوصف اللفظي إلى الوصف الرمزي، حيث أصبح يستخدم رمزا للدلالة على الظواهر الحسية (الهيدروجينH)

التعميم: تسعى العلوم في دراستها إلى تقديم تفسيرات شاملة وعامة للظواهر، فرغم أنها تتصف بالتخصّص إلا أنّها لا تعزل الظواهر المتشابهة عن بعضها البعض، بل تربط بينها بهدف استخلاص تفسيرات شاملة وعامة.. يقول هيزنبرغ: التعميم هو قوام التفسير ذاته

وبالعودة إلى جملة خصائص كل من العلم والفلسفة، وباستقراء مسار تطورهما، يمكن لنا إجمالا الحديث عن ثلاثة مظاهر كبرى للعلاقة بينهما..

الاختلاف والتمايز بين الفلسفة والعلم

1- من حيث الموضوع: العلم إمبريقي، مجاله الظواهر الكونية المحسوسة، سواء أكانت محسوسة مباشرة (سقوط الأجسام، تحولات المادة، التغيرات الفلكية، التغيرات الفيزيولوجية...)، أو كانت حسية غير مباشرة تدرك بالأجهزة(الموجات الصوتية، الرياح..).. أما الفلسفة فمجالها أوسع، إنها تتجاوز المحسوس إلى الانشغال بقضايا التجريد، وقضايا الحياة المعنوية.. (العدالة، السعادة، الحرية، الأخلاق...)

2- من حيث المنهج: العلم منهجه تجريبي)الملاحظة، الفرضية، التجريب(.. أما الفلسفة فمنهجها التأمل العقلي المدعم بالتساؤل النقدي والشكي..

3- من حيث طبيعة الدراسة: العلم دراسته موضوعية.. متخصصة/ أما الفلسفة فهي دراسة ذاتية تعبر عن توجه الفيلسوف.. كما أنها تتصف بالشمولية والنظرة الكلية...

4- من حيث طبيعة الإجابة: إجابات العلم دقيقة في صورة قوانين رمزية يحصل حولها الاتفاق... كما أن الأحكام التي يصدرها تكون تقريرية وجودية تصف الحادثة الواقعية الموجودة../ أما الفلسفة فأجوبتها تعبّر عن آراء أصحابها، فهي قناعات ذاتية ومذهبية، وأحكامها بذلك معيارية وجوبية تعبر عما ينبغي أن يكون عليه الأمر..

5- من حيث الأهداف: العلم يهدف إلى معرفة أقرب العلل المتمثلة في معرفة خواص الظواهر، القابلة للصياغة القانونية، والتحقق المخبري.. أما الفلسفة فتهدف إلى معرفة العلل البعيدة التي هي الأصل الأول للموجودات.. وهذا ما يتجلى في كونها تهتم أكثر بالتساؤل وليس بناء الجوبة.. وقد عرّفها أفلاطون بقوله "هي البحث عن العلل والمبادئ الأولى"...

أوجه الاتفاق بين العلم والفلسفة: رغم مظاهر التمايز بين العلم والفلسفة، إلا انه يمكن رصد العديد من مواطن الاتفاق والتلاقي بينهما، ومنها

- العلم والفلسفة نمطان وحقلان معرفيان، يعبران عن حاجة وتطلّعات الفكر البشري الراغب في الحقيقة، فقد كان ظهورهما وليد الحاجة إلى إدراك حقيقة ما يحدث من وقائع، والرغبة في إزالة الغموض وتجاوز الجهل والحيرة.. (ظهور الفلسفة بسبب عجز التفكير الأسطوري... وكطلك ظهور العلوم بسبب الرغبة في بلوغ الحقائق المقنعة والواقية الملموسة التي عجزت عن تحقيقيها الفلسفة)

-العلم والفلسفة مؤسسان على منظومة فكرية منطقية متناسقة ومنسجمة (الاشتراك في خاصية الاتساق والانسجام)

- العلم والفلسفة يشتركان في صفة الإثارة الفكرية، فتساؤلاتهما تخلقان في العقل الحيرة وتدفعان به إلى البحث عن الحقيقة..

العلم والفلسفة يشتركان في خاصية التجريد، رغم اختلاف طبيعته ودرجته، فالعلم يتدرج بالانتقال من المحسوس نحو صياغة الأحكام والقوانين العامة المجردة التي تصدق على الظواهر المشابهة لتلك الظواهر المدروسة.. وكذلك يظهر التجريد في الفلسفة، حيث أنها تتجاوز المحسوس إلى المعقولات الكلية المجرّدة، بعيدا عن التخصيص التشخيصي)مفهوم الإنسان، صفات عامة مشتركة دون تخصيص/ حرية الإنسان بصفة عامة مجردة دون تعيين نوع الإنسان..)..

التداخل والتكامل

- الوجود نوعان: مادي واقعي ينشغل به العلم التجريبي، ووجود معنوي ومجرد تنشغل به الفلسفة، ففهم الوجود بحاجة إلى تكامل وتعاون الفلسفة مع العلم

- لقد أثمر العلم عن نتائج ملموسة، وأسعد الإنسان ماديا باكتشافاته للقوانين الكونية، وانجازاته التقنية، لكنه في المقابل أهمل قضايا الحياة الروحية، والقيم الإنسانية، (الحرية، السعادة، العدالة...) التي يصعب عليه علاجها، وهذا ما أصبحت الفلسفة تنشغل به وتبحث عن حلول لها، حتى تكتمل قيمة الوجود الإنساني

-إن العلم يبدع وينتج ويصنع، والفلسفة تتوجه بالدراسة النقدية والتوجيهية والتقييمية، حتى تكون للعلم قيمة إيجابية، ففي ظل التطور العلمي طرحت مسائل: العولمة، وحقوق الإنسان، والاستنساخ، ومصير الإنسان بعد صنع الآلة والسلاح وكلّها مسائل أصبحت من اهتمامات وموضوعات الفلسفة... يقول وايتهد مترجما هذه العلاقة التكاملية "هناك مشروعية للفلسفة والعلم معا، وفي وسع كل منهما أن يُعين الآخر

- العلوم نشأت وانبثقت من أحضان الفلسفة (الفلسفة أم العلوم) ، وظهور العلوم في حقيقة إنما هو تعبير عن رغبة الإنسان في التخصص المعرفي والدقة في البحث والنتائج.. وقد أشار مؤرخو العلم إلى أن مختلف التحولات والتطورات التي حدثت في العلوم قد اقترنت بالأسس والتأملات الفلسفية ، فالانتقال من النظام البطليموسي إلى النظام الكوبرنيكي في الفلك، وكذلك ظهور الهندسات اللاإقليدية كثورة على الهندسة الاقليدية، والانتقال من الفيزياء الميكانيكية النيوتينية إلى الفيزياء النسبية وقوانين اللاحتمية، كل ذلك كان أساسه التأمل الفكري والتساؤلات النقدية، قبل تتحول إلى نظريات علمية

نماذج من العلاقة التكاملية بين الفلسفة والعلم ***

- علاقة الفلسفة بالفيزياء: صرّح ألبيرت إنشتاين وهو يتحدث عن نظريته في النسبية، أن الأثر الكبر في توصّله لنظريته الفيزيائية في النسبية، لم يكن من قبل بعض الفيزيائيين أمثال: بوانكاريه، وأرنيست ماخ، بقدر ما كان قبل الفيلسوف دفييد هيوم.. ويقول الفيزيائي هيزنبرغ في كتابه "المبادئ الفيزيائية إلى المناقشات الفلسفية.. وكثير من التجريدات لنظرية الكم. وفي حالة نظرية النسبية، ثبت ميزة العودة المميزة للفيزياء النظرية الحديثة نوقشت في فلسفات القرون الماضية علاقة

-علاقة الفلسفة ببعض العلوم الإنسانية: خرجت هذه العلوم من عباءة الفلسفة مثل العلوم الأخرى.. فعلم الاجتماع مثلا يدرس علاقة الذات بالغير وهي في جوهرها تحمل أبعادا فلسفية، فالفلسفة تهتم بالإنسان كذات، أو كجماعة، ثم إن الفلسفة المعاصرة أصبحت تهتم بقيمة التواصل... كما لا يخفى علينا أن رواد علم الاجتماع هم في حقيقتهم وطبعتهم الفكرية فلاسفة دوركايم، أوجست كونت، هالفاكس

-وفي علاقة الفلسفة بعلم النفس يقول "كارل يونج: بين علم النفس والفلسفة روابط لا انفكاك منها.. لهذا لا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر، لأن كلا منهما يمد الآخر بمسلّماته الأولية الضمنية، التي غالبا ما تكون خفية

-من بين فروع علم النفس: علم النفس الفلسفي، ويصطلح عليه البعض: ما وراء علم النفس أو الميتابسيكولوجيا..وهو يبحث في جمل الافتراضات الكلية المجرّدة التي تسبق البحث العلمي...

-علاقة الفلسفة بالاقتصاد: النظريات الاقتصادية وحتى الأنظمة الاقتصادية الحديثة)الرأسمالية والاشتراكية نظّر لها الفلاسفة آدم سميث، ج س مل، كارل ماركس، فريدريك انجلز

-علاقة الفلسفة بالقانون: التشريعات القانونية قائمة على أسس وتنظيرات فلسفية، فمسائل حقوق الإنسان مثلا نظّر لها فلاسفة الأنوار مونتيسكيو، فولتير، ج ج روسو.